

رسائل إسماعيلية قديمة نادرة

نویسنده: الدجیلی،عبدالحمید
میان رشته ای :: المجمع العلمی العراقی :: المجلد الرابع، عام 1375 - الجزء 4
از 251 تا 264
آدرس ثابت : http://www.noormags.com/view/fa/articlepage/408992



رسائل اسماعيلية قديمة نادرة[1]

(٤) والمجموعة الرابعة تحت الرقم (٦٠٦) ، وبعنوان (الرسالة الدامغة في الرد على الفاسق النصيري) . وتحتوي هذه المجموعة على سبع وعشرين رسالة ، أولها (الرسالة الدامغة) التي تحوي تهماً كثيرة يرمي بها النصيري أصحاب تأليه الحاكم ، كتعطيل الأحكام وإباحة النساء للمؤمنين الموحدين ، وأن ذلك من الروابط المتينة بين الموحدين والموحدات ، والتساهل في الأخلاق العامة ، وتأليه الحاكم الذي لا يعدو كونه خليفة من خلفاء الفاطميين ، الى غير ذلك ؛ ورد أصحاب هذه النحلة على النصيري وإفهامه أن التأويل والتعليل للظواهر ليس معناه ايقاف العمل بالظاهر ، وليس معناه إباحة المنكرات كالسرقة والزنا ونحوهما . ومهما كان ، فالرسالة صورة نادرة من جدل بين رجلين ، كلّ منهما لايصدق في قوله مع الآخر . ومن الغريب أن النصيري ينكر عليهم تأليه الحاكم ، فيرده الموحد للحاكم بأنكم تؤلهون الإمام علياً ، وتأليه الحاكم أصح من تأليه الإمام علي الذي هو مستودع النبوة : « .. وأما قول النصيري بأن محمد بن عبد الله هو الحجاب الأعظم الذي ظهر مولانا الحاكم منه ، ومن لم يصدق فهو من أصحاب هامان والشيطان وإبليس ، فقد كذب في جميع ما قاله المنحوس النصيري . فما عرف الدين ولا الحجاب . ومحمد كان حجاب علي بن أبي طالب . وأما حجاب مولانا — جلّ ذكره — فلا . وهذا قول من عقله سخيف ، ودينه ضعيف ... » .

ويلي هذه الرسالةَ ، الرسالةُ الموسومة بـ (الرضى والتسليم) . وقد مرّ الكلام عليها في غير هذه المجموعة .

وتليها (رسالة التنزيه الى جماعة الموحدين) ، رفعت الى الحضرة اللاهوتية وأطلقت ، وقد مرّ الكلام عليها في غير هذه المجموعة .

وتليها الرسالة الموسومة بـ (رسالة النساء الكبيرة) ، أولها : « توكلت على مولانا البارّ

(١) تتمة المقالة المنشورة في المجلد الثالث (٤٠٠ — ٤٢١) .

العليّ الأعلى على جميع الأنام ..... لا يجوز لـكُنَّ ، معـاشر الموحدات ، أن تخفين ما أظهره مولاكن ، ولا تخالفن ما أمركن به ، فتشركن به وأنتن لا تعلمن ... أن المجلس نطق . سيطلع على منبري هذا تيس من تيوس بني أمية ، ويقوم من بعده فتى ثقيف آكل أموال اليتامى ، ويقوم الثالث فارغـاً من الدين من غير أهل الدعوة صفراً من العـلم ، ثم تـكون فترة وجيزة ، ويبقى بعد ذلك الحق غريباً ، ويقوم به غريب ... فنظرنا الى قوله « تيس » فوجدناه عبد العزيز ابن محمد ، ونظرنا إلى قوله « فتى ثقيف » فوجدناه مالك بن سعيد ، ثم نظرنا الى قوله « ويقوم الثالث » فعلمنا أنه أحمد بن أبي العوام ، إذ اشترط عليه مولانا — جلّ اسمه — أن لا يتكلم في الدعوة ، وأنه لايعرف فيها شيئاً ... وانقطعت المجالس ، ووقعت الحيرة (يقصد فقدان الحاكم) ... الى أن بلغ الـكتاب أجله ، وجاء الوعد المعلوم ، وظهر ما كان مـكتوم ، ووحد المولى من وحده على يد من اختاره ، وجعله لذلك أهلا .. [حمزة بن علي] .. » .

وتلي ذلك رسالة (الصيحة الكائنة) . وهي رسالة لها أهميتها التأريخية ، إذ تصف الثورات والحوادث التي وقعت أيام الحاكم ، وكيف كان المعـــارضون في ادّعاء الألوهيــة . أولها :

« ... رسالة من هادي المستجيبين ، المنتقم من المشركين ، بسيف مولانا سبحانه ، الى أصحاب نشتكين المتقلين ... من عبد مولانا الحاكم الأحـد ... ومملوكه حمزة بن علي بن أحمد ... الى المعاند ومن معه في الاعتقال ، المصابين من عالم الضلال ... وما منكم أحد الا وقد نصحته ... فنكم من استجاب ونكث ، مثل علي بن أحمد الحبّال الذي كان مأذوناً وعلى يده استجاب نشتكين ... ، ومثـل العجمي والأحول وخطلخ ماجان وأشباههم ممن كتبنا عليهم الميثاق ، وباعوا الديانة بالأسواق ، ومالوا الى الشهوات ، فأخذ مولانا ـ جلّ ذكره ـ القصاص بالفراق ، وما ظلمناهم ولـكن كانوا هم الظالمين . وأما أنت يامعاند وأبو منصور البرذعي وأبو جعفر الحبال ، فما منكم أحد الا وقد دعوته الى توحيـد مولانا — سبحانه — فأبيتم ، الا أبا جعفر الحبال ، فانه كان قد أجاب الى مبارك بن علي الداعي ، أيده المولى ، والذي منعه ولده علي ... وقد سمعت أنت يامعاند ومن معك من المكاويين القطارس ، مخاطبة المولى — جلت قدرته — ... وقد كنتم

يوم الكائنة زهاء خمس مئة رجل بالسلاح الشاك ، وأنتم عند الحرم ، فقتل منكم نحو أربعين رجلاً ، وهرب من هرب . ولو لا رحمة مولانا ـ جلّ ذكره ـ عليكم ، لم يخلص منكم أحد .. فلما كان اليوم الثاني ، وهو يوم الخميس ، لم يبق من العساكر مشرقي ولا مغربي ولا أعجمي ولا عربي الا وركب من كان فارساً ، وشد من كان راجلاً ، كل يطلب دمانا ، ومعهم النفط والنار ، والسلالم ونقب الجدار ... وأنا إن شاء مولانا — جلّ ذكره — أذكركم للحضرة اللاهوتية ، وإن كان ما يخفى عنها شيء من أحوالكم ... فأبشروا ، وأعلموا أن الفرج قريب ، وسيعلم المرتدون والمنافقون لمن عقبى الدار ، والسلام عليكم . وكتب في شهر شعبان الثاني من سني عبده مولانا — جلّ ذكره — وصفيه حمزة بن علي ... الخ » . ومن هذه الفقرات التي نقلناها من هذه الرسالة الواقعة في أثنتي عشرة صفحة واسعة ، يعلم أن نشتكين الضيف داعي الدعاة الذي عارض في دعوى ألوهية الحاكم ، وطلب حميد الدين الكرماني من العراق للرد على أصحاب هذه النحلة ، قد خرج على الحاكم وثار ، وتغلب عليه الحاكم وأعتقله كما ذكر ذلك المؤرخون .

وتلي ذلك نسخة (سجل المجتبي) ، أولها : « ... توكلت على مولانا ، علينا سلامه ... معل علة العلل وصفات العلة . من عبد مولانا ... حمزة بن علي ... الى أخيه وتاليه ، وذي مصة علمه وثانيه ، آدم الجزوي الذي أجتباه بعلمه ، وهداه بحلمه ، وغذاه بعلمه ، أخنوخ الأوان ، وإدريس الزمان ، هرمس الهرامسة ، أخي وصهري أبي ابراهيم اسماعيل بن محمد التميمي الداعي ، أطال المولى بقاك ... أما بعد ، يا أخي ابراهيم إني نظرت اليك بنور مولانا — جلّ ذكره — فجعلتك خليفتي على سائر الدعاة المأذونين ، والنقباء والمكاسرين ، وجميع الموحدين بالحضرة الطاهرة وفي سائر جزائر الأرض وأقاليمها ، وسميتك بصفوة المستجيبين ، وكهف الموحدين ، وذي مصة علم الأولين والآخرين ؛ وجعلت لك الأمر والنهي على سائر الحدود : تولي من شئت ، وتعزل من شئت ، ... الخ » .

وتلي ذلك رسالة تحت عنوان (تقليد الرضي سفير القدرة) . أولها : « الحمد لمولانا وحده ... من عبد مولانا ومملوكه قائم الزمان هادي المستجيبين ... الى الشيخ الرضي سفير القدرة

فخر الدين ..... أبي عبد الله محمد بن وهب القرشي الداعي . . . من مولانا الحاكم ... حمزة بن علي ... أما بعد ، فاني نظرت بنور مولانا ... فرفعت درجتك ، وأضفت الى منزلتك المنزلة التي كانت للشيخ المرتضى، قدس المولى روحه ... وقد سلمت اليك جميع كتبه التوحيدية ، وجعلتك مقدماً على جميع الدعاة ... أخدم الحق ما يجب عليك من مذهب مولانا ، وألطف بالدعاة وجميع الموحدين ... وأستحثهم على الخدمة اللاهوتية ، وأمر النقباء بملازمة خدمتك ورفع ما يكون من الأخبار اليك وما يتجدد بالقاهرة وأخبارها وبمصر وأعمالها ... الى آخر الرسالة ، وكلها وصايا لهذا الداعي .

وتلي ذلك نسخة (تقليد الداعي المقتني) . وهو على نسق التقاليد الماضية : « من هادي المستجيبين حمزة ... الى الشيخ المقتني بهاء الدين ولسان المؤمنين وسند الموحدين أبي الحسن علي بن أحمد السموقي المعروف بالضيف ... الخ » ، وهي تتضمن الوصايا الدينية التي يجب أن يقوم بها كل موحد ... وفي الرسالة مصطلحات حروفية ، وحسابات على الطريقة الجُمَّليّة ، وتعابير تشرح التعاليم للدعاة ، وما الى ذلك .

وتلي ذلك رسالة تحت عنوان (مكاتبة الى أهل الكدية البيضاء) . أولها : « توكلت على مولانا الحاكم ... الى أهل الكدية البيضاء ... سلام عليكم ... سلمتم من المحنة ... لا تستروا كتبكم عني ، وأرسلوها اليّ على يد الشيخ سفير القدرة اللاهوتية ... وان لم يعرف الرسول ، فليسأل المستجيبين عن حسن بن هبة الرفاء نقيب النقباء ، تدفع اليه كتبكم ... الى آخر الرسالة .

وتلي ذلك رسالة تحت عنوان (الأنضاء) . وهي رسالة على طريقة الرسائل المتقدمة ، يوصي بها بعض المستجيبين ، ويشرح لهم بعض التعاليم .

وتلي ذلك رسالة تحت عنوان (شرط الإمام صاحب الكشف) . وهي تشرح بعض الأحكام في الزواج والطلاق والأمور الاخرى ، وجهت الى حمزة بن علي بن أحمد ، فأجاب عنها .

وتلي ذلك (رسالة أرسلت الى ولي العهد عبد الرحيم بن الياس) من عبد أمير المؤمنين ... حمزة ... الى وليّ العهد ، الخ . والرسالة كتبها حمزة ، وأرسلها الى ولي العهد ، وقد طلب منه أن

يمحو أسمه من المخاطبات والخط ، ولا يقل : « أبن عم أمير المؤمنين » ، إذ كان منزهاً . . وسرّ هـذا الطلب في هذه الرسالة لم يوضحه حمزة ، ولكنّ كتب التأريخ وضحت ذلك ، فقد تأخرت ولادة ذكَر للحاكم ، فسمّى عبد الرحيم وليّ عهد ، ثم ولد له ذكر ، فأوعز على لسان دعاته أن يتنازل عن ولاية العهد . ولما تمانع هذا ، فرّقوا بين ولي عهد المسلمين وهو عبد الرحيم ، وولي عهـد المؤمنين وهو الظاهر ، لإعزاز أبن الله وولاية عهد المؤمنين ، يقصد به المستجيبين للمذهب الإسماعيلي . وأخيراً وبعد قتل الحاكم ، تنازل عبد الرحيم ، ثم قتل نفسه ، أو قتل على أختلاف في الرواية .

وتلي ذلك (رسالة خمار بن جيش السليماني العكاوي) . وجهها حمزة الى هذا الثائر على الحاكم ، يحذره فيها عاقبة ثورته وأعماله ، ويطلب منه أن يقـدم العذر للحاكم ويطلب العفو قبل فوات الأوان .

وتلي ذلك (الرسالة المنفذة الى أحمد بن محمد بن أبي العوام قاضي القضاة من حمزة بن علي) يطلب منه أن يحسن القضاء ، ويفرق بين الذين يحضرون عنـده ، فمن كان من أصحابه يفتي له على مذهبه ، ومن كان من الإسماعيلية وعلى مذهب الخليفة الفاطمي يرسله الى حمزة بن علي ، ليقضي هو فيه أمره . والرسالة مهمة في بابها . ويظهر أن قاضي القضاة كان لا يهتم ولا يفتي على المذهب الاسماعيلي ، بل لا يهتم بالدولة والخلافة .

وتلي ذلك (مناجاة ولي الحق) . وهي مناجاة بليغة جداً ، ومن أقوى الأساليب العربية ، وتعـد من الطبقة الأولى في البيان . وقد كتبت على طريقة أفتتاح (الرمضانيات) التي تصدر كل رمضان للمستجيبين من أتباع المذهب ، يصدرها داعي الدعاة . ولا تزال هذه (الرمضانيات) تصدر في الهند لدى (البهرة) .

ويلي هذه المناجاة (الدعاء المستجاب) . وهو كسابقه بلاغة وغرضاً .

ويلي ذلك (التقديس دعاء السادقين لنجاة الوحدين العارفين) . وهو مثل سـابقه بياناً وبلاغة . وقد وجه هذا التقديس الى الحاكم .

وتلي ذلك رسالة في (ذكر معرفة الإمام وأسماء الحدود العلوية روحانية وجسمانية) . أولها : « توكلت على مولانا الحاكم المعبود ، واليه أشرنا بالوحدانية في سائر الدهور . الأسماء الواقعة على مولاي : قائم الزمان الأول ، علة العلل ، والثاني السابق ، والثالث الآمر ، والرابع ذومصة ، والخامس الإرادة ، العقل الكلي ، روحاني ، وأسمه الجسماني حمزة بن علي بن أحمد ... ومن بعده النفس الكلية ... وأسمه الجسماني أبو ابراهيم اسماعيل بن محمد بن حامد التميمي ... ومن بعده الكلمة ... وأسمه الجسماني أبو عبد الله محمد بن وهب القرشي الداعي . ومن بعده الجناح الأيمن ... وأسمه الجسماني أبو الخير سلامة بن عبد الوهاب السامري الداعي ... الى آخر ذكر الدعاة ووظائفهم وكناهم ومنازلهم . والرسالة مهمة فيهذا الباب . وقائم الزمان الواردة فيها تعني الحاكم .

وتليها (رسالة التحذير والتنبيه) . وهي رسالة عجيبة بما فيها من غرائب ، أولها : « ... بأسم الأزلي القديم ، والولي الكريم » . وهكذا على هذا الأسلوب تسير الرسالة . وتقع في سبع صفحات كلها في توحيد الحاكم وتأليهه ، وأسلوبها بليغ جداً ، ومن أبلغ المناجاة العربية .

وتلي ذلك الرسالة الموسومة بـ (الإعذار والإنذار) على نسق الرسالة السابقة في توجيه الخطاب ، والتحذير من التفريط في توحيد الحاكم القهار . وتقع فيست صفحات ببيان بليغ في أعلى مراتب البلاغة .

ثم تلي ذلك (رسالة الغيبة التي وردت على يد أبي يعلى) . وهي رسالة خاطب بها أهل جزيرة الشام ، محذراً لهم بعد غيبة الحاكم بمدة شهور ، وطريقتها تحميدية وتنزيه وتحذير من الخروج عن مذهب التوحيد بعد غيبة الحاكم . وتقع في أربع عشرة صفحة .

ويلي ذلك (كتاب تقسيم العلوم وإثبات الحق وكشف المكنون) تأليف اسماعيل بن محمد ابن حامد التميمي الداعي المشخص بذي مصة ، المنتص عليه من قائم الزمان ، يعني الحاكم . والكتاب فريد في موضوع عقائد هذه النحلة ، وفيه أمور لم أرها في كل هذه الرسائل ، أوله بعد تمجيد الحاكم وتأليهه ثم تمجيد الداعي الى التوحيد حمزة : « ... أما بعد ، فإنه لما سأل من

رغب إليّ الجواب عن كتاب يسمى تقسيم العلوم وكشف المكنون ، أمرني مولاي قائم الزمان بتصنيف هذا الكتاب ... العلم ينقسم على خمسة أقسام : قسمان منها للدين ، وقسمان للطبيعة ، والقسم الخامس فهو أجلها وأعظمها قدراً ، وهو القسم الحقيقي الذي هو المراد ، واليه الاشارات ومن أجله قامت الدار ، وظهر ما بين أهلها أمر مولانا الحاكم البار ... » وهنا يأخذ في وصف هذه العلوم ، وأنها تؤدي في غايتها الى عبادة الحاكم ... ثم يشرح فكرة النطقاء والأضداد ، مبتدئاً بآدم وابليس ضده ، حتى يصل الى قوله : « وقام محمد ، وأساسه علي بن أبي طالب ، ومبلغ عقولهم وأئمة دينهم ، الى أن انقضى دوره ، وظهر ناطق غيره ، وهو محمد بن اسماعيل .. والى الخلفاء المستودعين ، وهو الى أحمد بن الحسين بن عبد الله بن ميمون القداح ، وهو ولده سعيد بن الشلغلغ المهدي . وكان هؤلاء مبلغ عقولهم في معرفة التوحيد ... ولما أنشئت السماء الرابعة ، وهو قيام عبد الله بن أحمد وهو من ولد الميمون القداح أيضاً ، ظهر المولى – سبحانه – بصورة أسماها علياً ... وظهر السماء الخامسة وهو محمد بن عبد الله وسمي أيضاً المهدي سترة . وهو أيضاً من ولد القداح ، وكان من ولد الحسين . وظهر المولى – جل ذكره – بصورة أسماها المعل ، وكان ظهوره – جل وعز – بديار تدمر وديار الشرق في زي تاجر ... وظهر السماء السادسة وهو الحسين بن محمد وهو من ولد القداح أيضاً ، وبقيت صورة التوحيد باقية على حال ظهورها ، وظهر السماء السابعة وهو قيام عبد الله بالأمر أبي المهدي .. وكان عبد الله قد سمي سعيد بن أحمد ، وهو المهدي الذي تسمى بأسمه ... وكان أول ظهور المولى للعالم بصورة أسماها القائم ، وأول ما ظهر بمملكة الدنيا في ذلك الوقت . فخذ أيها الطالب ما آتيتك بقوة ، وكن من الشاكرين ... الخ » من ظهور وشروح بظهور الحاكم حتى تغيبه ... ويختم هذا الكتاب بقوله : « تم كتاب تقسيم العلوم ... وكان فراغه سلخ المحرم الثالث من سني ظهور عبد مولانا ومملوكه هادي المستجبين ... حمزة ... الخ » .

ثم تلي ذلك رسالة مهمة في تسع صفحات تحت عنوان (رسالة الزناد) . كلها براهين متنوعة علي تأليه الحاكم ، ورد على بقية الفرق المعارضة لذلك ، وتأويل الكثير من الألفاظ القرآنية

كالجنة والنار ونحوها ، وأنها كلها ألغاز عن الحاكم وظهوره . وهذه الرسالة على صغرها من أدق الرسائل في هذه المجاميع ، ومن أعمقها فلسفة تأويلية ، وأكثرها سخرية ببقيـــة المذاهب الإسلامية . ويختمها بقوله : « فاحمدوا مولاكم على ما خصكم من نعمه ومنحكم من قسمه الى طاعته وطاعة وليه الهادي ... » .

وتلي ذلك الرسالة الموســومة بـ (الشمعة) « وتطبيقها على فكرة التوحيـد والحـدود على المسلك الثالث ، وهو مسلك التوحيد ، ورفعت الى الحضرة اللاهوتية ، وأطلقت بأمر مولانـا الحاكم الحكيم ... ألفها العبد اسماعيل بن محمد التميمي الداعي ، صهر مملوك مولانا ـ جلّ وعزّ ـ قائم الزمان ... الحمد لمن أبان توحيده باقامة حدوده ... والنار التي توقد الشمع دليل على حجته اسماعيل بن محمد بن حامد ... والشمع دليل على الـكلمة محمد بن وهب ... والقطن دليل على السابق سلامة بن وهاب ... والطست دليل على التالي علي بن أحمـد السموقي . فهذه خمسـة حدود ... ومن عدم معرفة هذه الخمسة حدود ، لم يعرف التوحيد في وقتنا هذا ، وكان توحيده دعوى ... والناس ثلاثة أجناس : فأهل الظاهر يقال لهم مسلمون ، وأهل الباطن يقـال لهم مؤمنون ، وأهل قائم الزمان (يقصد حمزة) يقال لهم موحدون . ومن ادّعى التوحيد وهو بالظاهر والباطن كان كاذباً ، ومن دخل في طاعة قائم الزمان صار موحداً ... الخ » . ومن هذه الرسالة يظهر لك كيف أخذ هذا المذهب المسمى بمذهب التوحيد ينتقل بالتقديس الى حمزة بن علي ابن أحمد الأصفهاني ومَنْ بعده من الدعاة .

وتلي ذلك الرسالة الموســـومة بـ (الرشد والهداية) . وقد تقدم الـكلام عليها في المجاميع السابقة .

ثم تلي ذلك قطعة شعرية للشيخ أبي ابراهيم اسمـاعيل بن محمـد التميمي الداعي بعـد حمزة والملقب بصفوة المستجيبين . وقد أرسلت من هذا الداعي الى أهل جبل السماق في سورية ، لتقرأ على كل موحد وموحدة ، أولها : « الى غاية الغايات قصدي وبغيتي ... » الى آخر ثلاثين بيتاً . وقد تقدم بعضها في المجاميع السابقة . والقصيدة كلها دعوة الى تأليه الحاكم .

وتلي ذلك الرسالة الموسومة بـ (كشف الحقائق) في إحدى وثلاثين صفحة، في تأليه الحاكم والرد على الفرق الإسماعيلية التي عارضت فكرة التأليه. وقد مرّ الكلام على هذه الرسالة مفصلاً في المجاميع السابقة.

(٥) والمجموعة الخامسة تحت الرقم (١٤١) وفيها رسائل عديدة في هذا المذهب. أولها رسالة ناقصة في أحوال أئمة هذا المذهب وأئمة الفاطميين بمصر، ومما قال في ترجمة الحاكم: «ثم ولد الحاكم بأمر الله بن العزيز الذي أشارت جميع الرسل اليه، ودلّت جميع الكتب عليه. وكان مولده سنة ٣٧٥ هـ، وانتقلت اليه الخلافة سنة ٣٨٦ هـ، فتظاهر بالإمامة إحدى وعشرين سنة مدة دعوة النذر الثلاثة المطلقين من قبل الحاكم ـ تعالى ـ وأولهم السابق أبو الخير سلامة؛ لأنه سبق الشرائع الروحانية، وأظهرها وهي المفترضات الدينية ... ثم ظهر بعده الكلمة محمد ابن وهب القرشي، فانضاف السابق ودعاته اليه. ثم ظهر بعده النفس الكلية اسماعيل بن محمد، فانضاف الكلمة والسابق ودعاتها اليه، ودعوتهم كلهم واحدة، ومدة كل نذير سبع سنين، وتظاهر الحاكم — تعالى — في مدة النذارة بمعاجز عظيمة من كسر الجيوش، وقتل الرجال، وكونه أنه يرى أنه مريض ويمشي في محفة تحملها أربعة من الأضداد أو المشركين ... ثم أعطاها الخلافة الظاهرة والباطنة لعلي الظاهر، وأحضر قائم الحق حمزة بن علي، صلى الله عليه، وأعطاه الإمامة الحقيقية، وأحضر الأربع بين يديه وبقية أحرف السدق المئة والتسعة والخمسين، يدعو الى كشف توحيد الحاكم — تعالى — على رؤوس الأشهاد، ونشر قائم الحدود المذكورين في أقطار الأرض: يبثون دعوته، وينشرون حكمته ... واقتضت حكمة الحاكم أن يستتر في التاسعة حتى يطهر من نفوس المشركين ... فلما فرعت التاسعة، تجلى الرب — تعالى — في أول العاشرة، وانكشف وانكشفت الحدود ... ثم غاب — تعالى — في تمام الحادي عشر ... وتخلف مولاي بهاء الدين لإعراض رسائله عليه، وامتداده به، صلى الله عليه. فما تمادت الفتنة، حتى ثار الدجال للمحنة، على الموحدين الذين هم عباد الحاكم ... فلما انتهى مولاي بهاء الدين من إقامة الحجة على الخلائق ... غاب، صلى الله عليه، في حجب باريه، وما بقي

غير القيامـــة والجزاء ، جعلنا الله من المقبولين ، ولا يجعلنا من النادمين ، إنه ولي الإجابة والتوفيق ...

ثم تلي ذلك الرسالة الموسومة بـ (كشف الحقائق) . يذكر درجات العقل ووصف ألوهية الحاكم ، ويشرح المصطلحات عن الكشف ، وتجلي الحاكم في القيامة ، وكيفية هـذا التجلي وكيف يظهر بناسوته ، الى غير ذلك من أوضاع التجلي والكشف . ويظهر من هذه الرسـالة اقتباس هذا المذهب فكرة الحلول البرهمي ، وفكرة الاتحاد بالناسوت لدى المسيحيين . وهذا مما يؤيد ما قيل من علاقة الحاكم بأمه المسيحية ، وأنه كان يؤمن بهذه الفكرة اقتباساً من أمه ، حتى وجـد في بعض الأديرة المصرية القديمـة صورة الحاكم معلقةً فيهـا كما روى (عنان) في كتابه في الحاكم .

وتلي ذلك (قصيدة في تأليه الحاكم) من نظم الشيخ جمال الدين بن الشيخ عبد الكريم ابن الشيخ سلطان من بلاد حلب ، تبلغ ستين بيتاً . ثم (قصيدة أخرى في وصف قائم الزمان حمزة بن علي ووصف مقامه) . ثم قصيدة تحت عنوان (من عند الشيخ محمد والشيخ أحمد من قرية الباروك الى حضرة السادة الإخوان) وهي قصيدة طويلة جـداً تشرح عقائد هـذه النحلة ومصطلحاتها .

(٦) والمجموعة السادسـة تحت الرقم (١٢٢٢) وهي مجموعة تحوي ٣٢ رسالة في هـذا الباب ، أكثرها موجود في المجموعة المرقمة بـ (٩٦٤) وإن كان ترتيبها يختلف عن ترتيب هذه المجموعة ، وان كانت كلتاهما تبتدىء برسالة (السجل) ، كما أن هناك جملة رسائل لم تكن في تلك المجموعة . وهاك قبل الكلام على بعض الرسـائل فهرست هذه المجموعة : (١) رسالة السجل (٢) في النهي عن الخمر (٣) حبر اليهود (٤) مكاتبة القرمطي (٥) ميثاق ولي الزمان (٦) النقض الخفي (٧) التوحيد (٨) ميثاق النساء (٩) البلاغ والنهاية (١٠) الغاية والنصيحة (١١) حقائق ما يظهر قـدام مولانا الإمام من الهزل (١٢) السيرة المستقيمة (١٣) كشف الحقائق (١٤) سبب الأسـباب (١٥) الرسالة الدامغـة . والى هنا ما في هـذه المجموعة من

الرسائل . أما بقية ما أذكره لك من الرسائل المذكورة في هذا الفهرست ، فليست موجودة في المجموعة الناقصة ، وهي : (١) سجل المجتبي (٢) الكدية (٣) الأحجنة الكائنة (٤) شرط الإمام (٥) الرشد والهداية (٦) الدعاء المستجاب (٧) الغيبة (٨) الشمعة (٩) شعر للفرس (١٠) الحدود (١١) المناجاة (١٢) الأنصاب (١٣) الإعذار والإنذار (١٤) التنزيه (١٥) القنى (١٦) التحذير والتنبيه (١٧) .....

وقد مرّ الكلام على (السجل) فلا حاجة الى إعادة الكلام فيه ، والرسالة الثانية الموجودة (سجل النهي عن الخمر) وفيه تحذير من شرب جميع المسكرات ، ومما جاء فيه : « وقد أمر أمير المؤمنين ، وبالله توفيقه ، بكتب هذا المنشور ، ليقرأ على الخاص والعام من الأولياء والرعية بالنهي عن التعرض لشرب شيء من المسكر على اختلاف أصنافه وألوانه وطعومه ، وكل شراب مما يسكر كثيره وقليله ، وترك التعرض لشربه ، والنهي عما يتمسك به الرعاع من التأويلات والدعاوي ؛ فان أمير المؤمنين قد حظر ذلك جملة ... حتى تطهر المهالك من سوء آثاره ، وجعل ذلك أمانة في أعناق المخلصين من أتباعه ... كتب سنة أربعمائة في شهر ذي القعدة ، والحمد لله وحده » .

والرسالة الثالثة (رسالة حبر اليهود وقسيس النصارى) . وهي رسالة تذكر أن علماء اليهود والنصارى في مصر اجتمعوا وكلموا الحاكم وحاجّوه على تشدده معهم ، وتمزيق كتبهم ، وتهديم بيعهم وكنائسهم ، وجواب الحاكم لهم . ومما جاء في الحاجّة : « لِمَ سُمْتَنا ما سمتنا أنت إيّاه : من هدم بيعنا وأديارنا ، وتمزيق كتبنا المنزلة على رسلنا من عند ربنا فيها حكمة ... حتى إنك أبحت التوراة والإنجيل أن يشد فيها الدلوك والصابون ، وتباع في الأسواق بسعر القراطيس الفارغة ، وقد أخبر صاحب الملة والشريعة عن ربه فيما نزل من قرآنه أن التوراة فيها حكمة بالغة ..؟ » . وكان جواب الحاكم أن الرسول محمداً ، صلى الله عليه وسلم ، لما تسامح معكم على أمل عودتكم للدين الصحيح ، وأن يمهلكم كيما تتفكروا وتعرفوا خطأكم ، ولم تفعلوا ذلك . وإنكم تعلمون أنه سيأتي لكم من يعلن الحق والدين الصحيح ، ويبشر بالحق ، وأنه القائم بالأمر

والمهدي . ولا شك أنكم تعلمون أنني هو ذلك المذكور في كتبكم ، ولي الحق في توحيد الأديان وإرشاد الناس الى ما هو أنفع لهم . وإني جئت متمماً لما بدأ به محمد ، ومنظماً ومطابقاً لما أراده ولم يستطع تطبيقه من الشرائع الحقة ، لذلك يلزمكم أن تعودوا الى الطريق السوي ، إلى آخر ما ورد في هذه الرسالة التي تملل كثيراً من أعمال الحاكم الشاذة ، وتذكر سرّ هذه الأوضاع المتناقضة .

والرسالة الرابعة (ميثاق ولي الزمان) وقد مرّ الكلام عليها . والخامسة (النقض الخفي) وكذلك مرّ عليها الكلام . وأهم ما في هذه الرسالة أن الحاكم نفسه يذكر المهدي ، ويذكر أنه « لم يستطع أن يعمل كل ما يمكن من تعديل الشريعة وتطبيق الباطن ، وأنه كان نهاية دور الستر . أما الحاكم ، فهو أعظم الحدود ونهايتهم ، كما أن الهاء نهاية لا إله إلا الله ، ولم يظهر المهدي الى تمام دور محمد ، لأنه آخر دور الستر . أما نهاية النهاية ، فهو مولانا الحاكم المنفرد ... ورفع هذا الكتاب الى الحضرة اللاهوتية في شهر صفر سنة ثماني وأربعمائة من الهجرة وأولى سنين عبد مولانا ومملوكه هادي المستجيبين ... حمزة ... الخ » .

والسادسة (رسالة التوحيد لدعوة الحق) وهي رسالة تدعو إلى تأليه الحاكم ، وأنه الواحد الأحد ، والى نسخ الشريعة والعمل بالباطن والاستدلال على ضرورة هذا النسخ ، كما فصّل ذلك في رسالة النقض الخفي التي مر الكلام عليها . ومما جاء في هذه الرسالة في هذا الموضوع : « والدليل على ذلك زوال الشريعة على الاختصار ، إذ لم تحمل هذه الرسالة طول الشرح . وقد بينت لكم في الكتاب المعروف بالنقض الخفي نسخ السبع دعائم ظاهرها وباطنها ، وهي : الحج ، والصوم ، والزكاة ، والصلاة ... وذلك بقوة مولانا — جلّ ذكره — ... عملت هذه الرسالة في شهر رمضان أول سنين قائم الزمان ، وهي سنة ثماني وأربعمائة للهجرة ... » . ويؤيد ذلك ما ورد في التاريخ في سنة (٤٠٠) سجل بإلغاء الزكاة والنجوى .

والسابعة (ميثاق النساء) وقد مرّ الكلام عليها ، وكل ما فيها حث النساء على الأخلاق الطيبة ، والعفة ، والمحافظة على الشرف ، والتجنب من الفسق والمجون والخروج على الآداب .

ومن الواضح أن أصحاب هذه الفرقة من أحرص الناس على أخلاق المرأة وعلى الحجاب ، ويشتد أستتارها من الخاطب والمطلّق ، والزنا جريمة لاتغتفر ، ولا يجوز التزوج بأكثر من واحدة مالم تطلق الأولى ، ويجري الزواج على وفق التقاليد الإسلامية المعروفة لدى المسلمين من خطبة ومهر ونحوهما . ولكن المرأة لاترث شيئاً من أبيها ...

والرسالة الثامنة (البلاغ والنهاية) . وهي كتاب واسع يشرح تأليه الحاكم ، وقد مرّ الكلام على هذه الرسالة . وفي آخرها : « كتبت في شهر المحرم الثاني من سني عبد مولانا – جلّ ذكره – حمزة بن أحمد هادي المستجيبين ... الخ » .

والرسالة التاسعة (الغاية والنصيحة) . وهي واسعة تقع في أربع وعشرين صفحة ، كلها تنصح الرعية والموحدين بتأليه الحاكم ، وتذكر عودته ومجيئه ، وتؤنب الشاكين والمخالفين ، وتشرح خصائص المذهب الإسماعيلي . أولها : « توكلت على أمير المؤمنين – جلّ ذكره – وبه أستعين ... من عبد أمير المؤمنين ... حمزة بن أحمد ... كتب في شهر ربيع الآخر ، الثانية من سني عبد مولانا ومملوكه ... حمزة ... الخ » .

والرسالة العاشرة (كتاب حقائق ما يظهر قدام مولانا – جلّ ذكره – من الهزل) . وقد مرّ الكلام على هذه الرسالة .

الرسالة الحادية عشرة (الرسالة المستقيمة في السيرة) . وأهم ما فيها وصف الثورات التي وقعت بين الحاكم والرعية ثم بين زعماء مذهب التوحيد وغيرهم ، وقد مرّ الكلام مفصلاً على هذه الرسالة .

والثانية عشرة (رسالة كشف الحقائق) . وقد مرّ الكلام عليها .

والرسالة الثالثة عشرة الموسومة بـ (بسبب الأسباب والكنز لمن أيقن وأستجاب) . وهذه الرسالة ، الفريدة في هذه المجاميع ، وليس لها نسخة غير هذه النسخة ، ولم أرَ من أشار اليها بين كتب الدروز المعروفة ، وهي ذات أسلوب فلسفي دقيق متقن في الاستدلال وذكر الحجج لهذا المذهب ، وفيها تهجم كثير على كتب المسلمين ورسائلهم الأدبية والفلسفية . ومما جاء

فيها : « أما بعد ، فقد وصلنا ـ أيها الأخ الشفيق ـ ما كتبته من عهدنا في طلب العلم الحقيقي ، وما يتقوّله هذا الفاسق الفسيق . وليس التوحيد كعلم الفلاسفة والتلحيد ، ولا كرتبة الدعاة والعبيد ، ولا الدرّة اليتيمة كالحجر الجليد ، ولا الأحدانية كالواحد المفيد ... بل الحقائق تأييد من المعل الأزل ، الى عبده علة العلل . والمعل هو الأحد ، والعلة هو الواحد الذي يفيد جميع العالمين ، وهم الدعاة والمأذونون والمكاسرون والمستجيبون .. » الى آخر ما في هذه الرسالة التي تفلسف هذه النحلة وتعللها تعاليل عجيبة .

هذا بعض نصوص ومنقولات عن هذه المجموعات النحلية النادرة ، تدل على أهميتها التأريخية . أما خط هذه المجموعات ، فبعضه يكاد يكون من خطوط القرن السادس الهجري ، وبعضه حوالي ذلك ، وبعضه من خطوط القرن التاسع ، وليس في كل هذه المجموعات تأريخ على عادة أغلب رجال الغلاة الذين لم يؤرخوا كتبهم ، وهي واضحة وجميلة ، ولكنها مملوءة أغلاطاً نحوية .

عبد الحميد الدجيلي